الآراء الـواردة في الصفحة تعبر عن وجهات نظر كتابها ، وقد لاتتفق بالضرورة مع وجهة نظر الجريدة

تفكيك المنظومة الفكرية للقاعدة

حسين علي الحمداني

واحدة من أهم الملاحظات التي يمكننا أن نخرج بها ونحن قد تابعنا لحظة بلحظة الحدث الأبرز في عام ٢٠١١ وهو مقتل زعيم تنظيم القاعدة أسامة بن لادن ، إن الجميع صدّق الرواية الأمريكية بمن فيهم أتباع هذا الإرهابي ، إذن غابت مفاهيم ربما توقعنا أن يطرحها البعض من الذين يشككون في كل شيء، كأن يقول بعضهم بأنه شبيه بن لادن وما أكثر الأشباه في حياة الأمة العربية، لكن كما قلنا كانت أمريكا حاسمة في ضربتها وفي خطاب رئيسها وصراحتها في إلقاء جثة بن لادن ودفنه في البحر لكي لا يكون رمزا لمحبي العنف وسفك الدماء وحسنا فعلت واشنطن هذا، فكل أسرار بن لادن ذهبت معه وما وجد من مقتنيات في بيته الفاخر أصبح الآن بيد الأمريكان الذين بالتأكيد سيفحصون كل صغيرة وكبيرة .

لهذا لا شكوك ولا روايات غير الرواية الأمريكية التي وجدت من يؤكد صحتها بمقتل زعيم تنظيم القاعدة أسامة بن لادن صباح يوم الثاني من آيار ٢٠١١، لتطوى صفحة كانت الأكثر دموية في العقدين الماضيين ، صفحة بن لادن طويت ولكن بقيت للإرهاب صفحات أخرى بحاجة لأن نتوقف عندها .

بن لادن لا يختلف كثيرا عن الطغاة العرب الذين أزالت بعضهم نهضة الشعوب في ثوراتها الشبابية والشعبية معاً ، هو جزء من نتاج منظومة فكرية مبنية على القمع ومصادرة حرية الآخرين ونفي الآخر ، لأن هذا الرجل أسس لفكر طالما تبنته الأنظمة الدكتاتورية التي وجدت في بعضٍ رجال الدين من ينظر له ويجعل منه إنموذجا انتشر بسرعة في وسط الشباب العربي في حقبة الاحتلال السوفيتي لأفغانستان .

هذا الاحتلال الذي كان السبب الرئيسي في تكوين النواة الأولى لتنظيم القاعدة برعاية أمريكية ودماء وأموال عربية وفتاوى سياسية أكثر مما هي دينية من دول عرفت بعدائها للشيوعية آنذاك وأخذت من احتلال أفغانستان قضية (جهادية)، بينما لم نجدها تأخذ من القضية الفلسطينية ذات المنحى، وهذا أمر شكّل نقطة توقف عندها الكثير من المحللين في الربط بين الجهاد في أفغانستان ضد الروس وبين المهادنة في القضية الفلسطينية وغيابها عن مفهوم وعقيدة تنظيم القاعدة .

لهذا يمكننا القول بأن أسامة بن لادن كشخص والقاعدة كتنظيم لم يكونا نتاج الإسلام بقدر ما هم نتاج حقيقي للفكر القومي العروبي الشمولي الذي ساد المنطقة العربية في حقبة الثمانينيات من القرن الماضي ليتواصل مع الألفية الثالثة، ماٰنحا نفسه الوصاية ليس على العرب وحدهم بل على عموم المسلمين وفارضا رأيه القسري على غير المسلمين أيضا من باب إقامة (دولة الخلافة)، لهذا فهو امتداد طبيعي حتى في شعاراته التي يرفعها والتي تشبه إلى حد كبير شعارات الزعماء العرب وخطاباته تشبه خطاباتهم وحبه للظهور الإعلامي يلتقي مع حب الطغاة أيضاً.

هـذا الـنـتـاج مكن من أن يكـون بـن لادن الشخصية الأولى المتداولة في وسائل الإعلام منذ أحداث سبتمبر ٢٠٠١ وحتى يوم مقتله الـذي توقعناه بين لحظة وأخـرى لأسباب عديدة أولها: بالتأكيد بأنه جزء من منظومة فكرية سياسية تهاوت في ربيع العرب الذي ما زال مستمراً حتى يومنا هذا ، وتهاوى الأنظمة التي لا تختلف معه وتسانده على الأقل فكريا وإعلاميا يعني في ما يعنيه إن نهايته حتمية مما يؤدي بالتأكيد لرفع الغطاء عنه ليصبح مكشوفا جدا أمام من يطارده ، وهذه الحالة ربما لم ينتبه لها أحد ، في الأشهر الماضية وجدنا الكثير من الخلايا والمجاميع الإرهابية في العراق تفقد الداعم الرئيس والحاضن لها ، ما دفع بعضها لإلقاء السلاح طواعية أو مجبرة، الشيء الآخر بأن هذا التنظيم يعتمد في جزء كبير من تمويله على أموال عربية تصله بطريقة أو بأخرى وتجفيف بعض هذه المنابع من قبل الأمريكان والأوربيين في نطاق الحرب على الإرهاب جعلت هذا التنظيم يفقد إمكانية القيام بعمليات نوعية في دول أوروبا وأمريكا واكتفت نشاطاته في بعض الدول الإسلامية التي أسس فيها ما يسميه (بالإمارة) على غرار باكستان والعراق والجزائر والمغرب واليمن والجزيرة العربية، معتمداً في تمويل عملياته على عمليات الخطف مقابل الفدية وقد نجح في بعض المناطق لا سيما في شمال أفريقيا.

وحتى هذه التنظيمات الهيلامية التكوين تلقت ضربات موجعة، بعضها كان قاصماً لها خاصة في العراق عبر مقتل زعيمين مهمين للقاعدة هما أبـو مصعب الـزرقـاوي على يد القوات الأمريكية وأبو أيوب المصري على يد القوات العراقية في عمليتين نوعيتين تشبهان إلى حد كبير العملية التي نفذتها البحرية الأمريكية في قتل زعيم التنظيم أسامة بن لادن .

لهذا نجد بأن مقتل زعيم تنظيم القاعدة يمثل صدمة كبيرة للفكر التكفيري في المنطقة ويشكل نقطة تحول مهمة جدا في الحرب على الإرهاب الذي يسير بخطوات كبيرة وربما تكون أكبر في الأسابيع المقبلة إذا ما تم استثمار حالة الانهيار النفسي الكبير الذي تعيشه المجاميع الإرهابية في الوطن العربي والعالم الإسلامي وحتى الخلايا النائمة في أوروبا ، هذه الحالة الناجمة عن فقدانها زعيمها الذي كان يمسك بكل الخيوط شأنه في ذلك الطغاة الشموليون الذين تهاوت صورهم في ميادين التحرير العربية، وبالتالي فإننا أمام فرصة كبيرة في البدء بعملية ثقافية فكرية واسعة لتفكيك الفكر التكفيري لهذا التنظيم وتطهير المجتمع العربي والإسلامي من مخلفاته بالشكل الذي يجعلنا نستعيد صورتنا الإنسانية التي شوهتها أعمال القاعدة .

نهاية هذا الرجل هي بداية انهيار منظومة فكرية تحمل عقيدة فاسدة أضرت ليس العرب والمسلمين معاً وجعلت البلدان العربية والإسلامية مكشوفة أمام الغرب ، مفروض عليها الكثير من التبعيات ، مستنزفاً مواردها في مكافحة إرهابه وتعويض ضحاياه وإعادة بناء ما دمرته تفجيراته التي شكلت رقماً كبيراً في البلدان العربية والإسلامية في العقد الأخير .

على هامش الصراحة

البنك المركزي العراقي

إحسان شمران الياسري

في هذه المساهمة لا أقصد الترويج لمؤسسة عراقية، ولا أقلل من شأن أخرى، ففي سوق الكتابات اليومية عشرات القادحين والمادحين والوعّاظ، ولستُ إلا (نفر) يرى ما يراه الآخرون، فيفرح أو يحزن.. ولي، مثلما لغيري، مقاييس و (غرابيل)، ووجهات نظر..

وأنا، مثل بسطاء بلادي، نفرح عندما تميل النسائم إلى ميادين الحرية والعمل الصالح، والإخلاص فيه، ولا تُنغّص حياتنا سوى العناوين الفخمة والوعود العريضة، وضياع الأيام التي لا تُحصيها.

فإذا وجدنا مؤسسة صالحة لا تتحدث بأكثر مما تعمل، وتعمل في تؤدة، فنرى وفير عملها دون غبار أو وميض (فلاشات) الكامرات، سيكون هذا موضع فخرنا، لأنها تمثل لنا سراجاً يُنير فلواتنا، إذ يغيب القمر.

البنك المركزي العراقي، دون أن يكون هذا مدحاً فارغاً، ربما يمثل الحقيقة الوحيدة في بلادنا التي نراها ونلمسها ونتعامل معها، ونتعامل مع منتجها وآثار عملها.. فمنذ عملية تبديل العملة التي جرت بعد التغيير عام ٢٠٠٣ بأشهر، أصبح البنك المركزي العراقي حقيقة في عمله، وفي سياسته، وفي إنجازاته.. وأحسب إن هذه المؤسسة لا يمكنها إلا أن تكون كذلك. فبدون منجزها الكبير في خلق النقود وصيانتها وعرضها والسيطرة عليه، لم يكن البلد ليسير الخطى التي سارها، مهما كانت كبيرة أو متواضعة.

ولولا قوة قرار البنك وصبره على كل ما كان ويكون، لامتحنت البلد بسلسلة من إخفاقات أي خطوة تخطوها..

ولولا قوة البصيرة والحكمة في السير بحقل الألغام التي اتسمت بها خطوات هذه القاطرة العملاقة، لتبعثرت أية أمنية في الوصول الى مَا وصلت إليه عُملتنا الوطنية، واقتصادنا..

وأنا أكتب هذه الأسطر، أدعي أن العملة العراقية اليوم، ربما من أقوى العمَلات التي تتداولها المنطقة وربما العالم، فليس ثمة عملة في العالم لها غطاء يفوق ثلاثة أضعاف قيمتها. كما لم تستطع أية إدارة لبنك مركزي، مثل إدارة البنك المركزي العراقي من الصبر والجَلد على حفظ التوازن بين مصلحة السياسة النقدية والسياسة المالية، حتى إن احد المتخصصين قال إن سياسة البنك المركزي وقفت على حافة (الموس) وهي تحاول المحافظة على هذا التوازن الصعب.

ولم تفعل إدارة بنك مركزي ما فعلته إدارة المركزي العراقي من جعل العملة الدولية الأولى (الـدولار) (مجرد) سلعة نستطيع شراءها متى شئنا، بعد أن كانت قصة وحدها سابقاً.

إن مؤسسة مثل البنك المركزي العراقي تستحق أن يتوقف الشعب العراقي عند منجزها في استقرار أسعار الصرف، وهذا الاستقرار في بلد مثل العراق، يعتبر حلماً كبيراً..

فبرغم كلِ شيء، يستطيع المستثمر والمقاول والتاجر أن يعرف غداً وبعد غد (يعني الأجل القصير) سعر صرف العملة الأجنبية الى عملته الوطنية، فيحسب (صحيح) ويخطط دون أن تعتريه مخاوف التغييرات والطفرات والمفاجآت..

وتستحق هذه المؤسسة ان يتوقف الشعب العراقي عند منجز مهم وهو انك تستطيع الآن أن تستبدل الدينار العراقي في اسطنبول وعمان وبيروت ودمشق وطهران، والكويت، وربما في بلدان أخرى، بعد أن كان الدينار لا يخرج عن حدود (المحمودية)!!..

إن رسالة البنك المركزي العراقي وأهدافه، بحاجة إلى وقفة منصفة من الشعب العراقي، فمعظم مؤسسات الدولة العراقية كانت، وبعضها لم يزل، على هامش الحدث، إن لم تكن خارجة، إلا البنك المركزي، إذ كان ولم يزل، وسيبقى، لأننا بدون منجزه لن نتحرك خطوة واحدة.. أما بدون الكهرباء، فقد دبرنا أمورنا لثماني سنوات، وسنفعل ذلك إلى عام ٢٠٣٠ !!

وبدون مدارس التربية التي لم تُشَيد، سيجلس أولادنا في مدارس الطين والبردي، على الحصران عشر سنين أخرى..

وبدون البطيخ سنأكل الباذنجان و(الطرماهي)!!

بعد خداع الشعارات " التقدمية " وضياع الاحلام

مطلوب وقفة مراجعة جريئة تستلهم دروس الماضي

طارق الجبوري

الى فترة ليست بالبعيدة كان العالم ينقسم من الناحية الايدولوجية الى كتلتين او محورين: الرأسمالية بجذورها القديمة، والاشتراكية التي جاءت - كما يفترض - لتضع معالجات لمساوئ النظام الرأسمالي ولتبشر بعالم آخر تسوده العدالة والمساواة سيحل على انقاض نظام استغلالي عصفت به الكثير من الأزمات، وحول هذين القطبين كان العالم يسير ، حتى ان تصنيفات دوله والى حين كانت مرتبطة بمدى القرب او البعد من هاتين الكتلتين ورمزهما، حيث كانت بريطانيا تقود النظام الرأسمالي ممثلاً بدول اوروبا الغربية قبل ان تتبوأ اميركا مركز قيادته، في حين صنفت دول اخرى بالاشتراكية التي كان يحمل لواءها الاتحاد السوفيتي ..

ورغم محاولات بعض الدول لتشكيل قطب يبتعد عن صراع المعسكرين، هذه المحاولات أسفرت عن تشكيل ما سمي دول عدم الانحياز كنتيجة لمؤتمر باندونغ عام ١٩٥٥ الذي حضره زعماء ٥٥، أبرزهم تيتو ونهرو وعبد الناصر ، نقول رغم تلك المحاولات الجادة في بعض الاحيان إلا أنه من الصعب الجزم ان هنالك حياداً مثالياً قد تحقق خارج هيمنة دول المعسكرين في انظمة دول عدم الانحياز لاسباب كثيرة لامجال للتفصيل فيها الآن . ووسط كل ذلك كان العملاق الصيني ، رغم ما مورس ضده من ضغوط ، قد اخذ يفرض حضوره وتأثيره وايدلوجيته الاشتراكية المغايرة لفلسفة الاتحاد السوفيتي ، بل تمكن من ان يفرض نفسه وينتزع له مقعداً في مجلس الامن .

وسط كل تلك الاجـواء المشحونة بالتوترات والصراعات الباردة والساخنة ، كانت تتبلور منظومة الاحزاب والحركات العربية ليبشر قادتها ، الذين كان اغلبهم ممن تلقوا تعليمهم في الخارج او من المثقفين والمتابعين للحركات الفكرية في العالم، بنظريات بقيت اسيرة التيارات الفكرية التي سادت العالم . واذا كانت الاحزاب الشيوعية قد عبّرت صراحة عن ارتباطها بالفكر الماركسي وبمنظومة الدول الاشتراكية ، فإن الأحـزاب والتـيارات القومية كانت على الضد من ذلك وترفع شعارات الاستقلال الايدولوجي عن الغير، رغم انه ليس لذلك من أساس على ارض الواقع، فلا يمكن لأي فكر، ومهما امتلك من خصوصية ،أن يكون منعزلاً عن بقية التيارات الفكرية في العالم سواء الرأسمالي او الاشتراكي، ولابد من ان يتأثر ويؤثر ويتفاعل بشكل أو آخر مع غيره من التيارات الفكرية السائدة. وهكذا سيطرت التيارات الفكرية اليسارية والقومية بمختلف مشاربها على ساحة العمل السياسي، لتزيح عنها أحزاباً تقليدية سابقة او لتكون امتداداً لبعضها، ولكن بأقنعة ووجوه وطروحات تتناسب ومرحلة المد التحرري ودعوات الاستقلال من الاستعمار. وكـان القاسم المشترك الـذي يجمع اغلب تلك الـتـيـارات هـي شـعـارات الـتـحـرر مـن الهيمنة الاستعمارية وتحقيق الاستقلال، الـذي ما ان تحقق تحول اتجاه تلك الاحزاب الى هدف آخر هو تغيير انظمة الحكم بالقوة لتتمكن من تحقيق برامجها سواء في التحرر السياسي التام او الاجتماعي أو الاقتصادي . ولظروف عديدة كان العسكر هم ادوات التغيير الرئيسية في الغالب كما حصل في مصر والعـر اق وسوريا وليبيا واليمن والجزائر ، وانقسمت المنظومة العربية تبعاً لذلك الى معسكرين لاثالث لهما، الأول ما كان يطلق عليه (التقدمي) التي كان اغلبها بفعل انقلابات قادها الضباط الاحرار ، والآخر محافظ او ما كان يسمى بالرجعي بحسب مصطلحات الادب السياسي السائدة آنذاك .

ومنذ ذلك الحين ، ورغم كل المواثيق والاتفاقات بما فيها اعـلان الجامعة العربية عـام ١٩٤٥ ، ساد المحيط العربي حالة شاذة سمتها الصراع والتجاذبات وتخوين الانظمة احدها للآخر ، حالة صارت هي قاعدة العمل حتى بين الانظمة التي رفعت شعارات التقدمية عالياً ودفعت ثمنها الغالبية المسحوقة من الشعوب المحرومة من أبسط حقوقها. ولم يكن من الصعوبة الفرز بين معسكرين متصارعين في واقعنا العربي: معسكر رفع شعارات القومية والتقدمية ، وهو بعيد عن الحد الادنى منها ، وآخر مناقض له تماماً في الفكر والهدف والعلاقات، كان مركز تفاعل الاتجاهات في الاول هو مصر عبد الناصر بشكل خاص وسوريا والعر اق ، في حين كانت السعودية مركز ثقل الثاني وعنوانه تليها بدرجات، وبحسب الظروف المغرب والكويت والاردن بعض الشيء .

هذه هي صورة واقعنا العربي بعد الاستقلال والتي تفرض العديد من التساؤلات عما تحقق للمواطن بعد كل تلك السنوات المريرة التي دفعنا فيها كمواطنين تضحيات ليست بالقليلة . ونعتقد ان من حق اي مواطن في اي بلد عربي ، خاصة تلك التي رفعت انظمتها الشعارات الثورية الرنانة ان يحصل بعد سلسلة الانكسارات والهزائم على إجابات وافية وغير مستترة عن سر هذا التدهور والنكوص المهينين الذي طبع واقع المنطقة ، وعن الأسباب الحقيقية له التي حالت اوطاننا الى جحيم لايطاق . ومن يتحمل مسؤولية كل تلك التضحيات التي وجدنا بعد حين انها ذهبت سدى، وان ما كنا نردده كببغاوات لبرامج احزابنا القومية التقدمية لم يكن غير شعارات لذر الرماد في العيون. و اين الحقيقة في كل ذلك ؟ومتى تفيق وتصحو تيارات سياسية بقينا نلهث وراء زيف شعاراتها ، فتتخذ موقفاً شجاعاً ومراجعة نقدية لمواقف جرّت علينا الكثير من الويلات وضيعت علينا فرصاً ثمينة كان يمكن ان تنقلنا الى عوالم اخرى غير التي نحن عليها الآن ؟

ابـتـداءً لابـد مـن الاعـتـراف ان الاجـابـة بقدر وضوحها تتطلب موقفاً شجاعاً ، لتقييم نتائج مرحلة مضت ، لكنها ضرورية لكي تواكب اي حركة تريد الاستمرار فعلاً ما يمر بنا من احداث ، علها تشفع لها عند قواعدها التي فقدت الثقة بها ونبذتها . وابتداءً لابد من الاعتراف بان الانقلابات العسكرية وقيادتها من قبل الضباط الاحرار بقدر حتمية الظروف التي فرضتها ، فإنها بقيت مأسورة العقلية العسكرية التي يصعب عليها الفهم الصحيح للديمقراطية في الحكم ، مع كل التقدير لتوجهاتها الوطنية التي نؤمن ان لاغبار عليها . ونحسب ان المشكلة عندنا برزت عندما ارتضت الاحزاب بمختلف توجهاتها الماركسية او القومية ان تسير على وفق برامج العسكر وتنساق وراء وهم امكانية التغيير الديمقراطي من بينهم وتحويل الانقلابات الى ثورة بكل ما تعنيه الكلمة من معنى ، وكانت النتيجة باختصار ان تحولت الشعارات "التقدمية " و "الثورية " الى وسيلة للبقاء في السلطة التي صارت هي الغاية بعد ان كانت – كما يفترض– ان تكون وسيلة لتحويل البرامج الى واقع مغاير لما نعيشه .

وقـد مـهـدت ظـروف كـثـيـرة عـلـى تـمـريـر خـدع الاحـزاب السياسية على الجماهير من بينها الحـرب الـبـاردة بـين المعسكرين وانـجـرار كل معسكر سواء الرأسمالي او الاشتراكي لكسب اكبر عدد من الدول الى صفوفه، بغض النظر عن مدى انسجام تلك الانظمة مع شعوبها ، وكثيرة هي الامثلة التي تؤكد غض نظر كلا المعسكرين عن جرائم اقترفتها انظمة بحق شعوبها ، بل ساهمت وساعدت بدرجات على تماديها في سياسة قمع الحريات والاضطهاد وحروب الإبادة . وإذا كنا نعطي بعض العذر للنظامين الرأسمالي او حتى الاشتراكي في ذلك الوقت على اتخاذ مواقف بحكم مصالحه هو ، فإننا لا نجد تبريراً للكثير من القوى السياسية العربية التي بقيت ساكتة او متفرجة، ان لم نقل مشجعة في احيان كثيرة لأنظمة انكشف زيف شعاراتها منذ ان انقلبت على شعاراتها وما كانت تدعيه من مبادئ احترام الحريات ، دون أن نغفل مسؤولية المنظومة الاشتراكية في حالة التدهور والنكوص التي وصلنا إليها، مع العلم ان هذه المنظومة ، ولتجاوزها في التطبيق على روحية الفكر الماركسي التي تدعو الى التجدد وعدم الجمود ، قد دفعت ثمن أخطائها القاتلة قبل حتى الانظمة العربية التي كانت تروج لها وتبرر تصرفاتها .

وبالتدريج تحولت الاحـزاب الى دكاكين لبيع المبادئ على المستهلكين الذين لم يكونوا غير نحن المواطنين المنساقين وراء واجهات هذه الاحزاب ، مدفوعين بالعواطف بعيداً عن منطق العقل ، الى اللهاث وراء "جبهات قومية تقدمية" واتحادات القوى العاملة واتحـادات اشتراكية وتسميات رنـانـة ، مـن أجـل الـتـبـرير لكل هـؤلاء الحكام ظلامتهم لشعوبهم ، بل ان عمى الشعارات منعنا حتى عن التساؤل عن ابسط حقوقنا في النقد الذي كان يعني تأخير العمل من اجل التحرير والوحدة والاشتراكية ، وبقينا ننظر للوحدة دون ان نعي ان حكامنا قد باعوها في مزاد المصالح وضاعت وسط مزايدات التيارات القومية ، ونحلم باشتراكية شوهت وحرية عطلت بقوانين الطوارئ والمصالح الوطنية العليا . فما هي النتيجة وما الذي جرى ؟

هذا ما سنحاول الوقوف عنده في الموضوع القادم ، مع التنبيه الى اننا هنا لا نحمّل الأفكار والمبادئ النبيلة مسؤولية كل هذا التردي ، لكننا أردنا ان نسلط الضوء على الفرق بينها وبين من تاجر بها.

شحّة المياه .. مرة أخرى

صبيح الحافظ

كشفت بعثة الأمم المتحدة في العراق عن تقرير عالمي صدر مؤخراً يحذر العراق من احتمال نضوب نهري دجلة والفرات بحلول عام ٢٠٤٠ بسبب تفاقم تأثير المناخ وانخفاض معدلات المياه من المصدر ولأسباب ثانوية أخرى ، أيضاً كشفت دراسة ميدانية أجرتها مديرية الإحصاء في محافظة نينوى بالتعاون مع مديرية بلدية نينوى ومنظمة اليونسيف أن هناك أكثر من مليون مواطن لا يشربون الماء الصالح في الموصل والبصرة ، كذلك قالت وزارة الموارد المائية أن نسبة المياه المتوفرة في حوضي دجلة والفرات لا تكفي لوضع خطة زراعية واسعة في الصيف المقبل بسبب شحة المياه ، وعدم زيادة حصة العراق المائية من مصادرها رغم إننا مقبلون على زيادة الإنتاج الطبيعي للمياه نتيجة ذوبان الثلوج المتراكمة على قمم جبال مصدرها والتي تحدث في شهر نيسان من كل سنة فإن منسوب النهرين لا يزال كما هو دون أي زيادة ، طبيعية كما هو متوقع .

وكانت منظمة (SIOMP) وهي منظمة عالمية مقرها بروكسل تعمل في برنامج الأمن الغذائي في آسيا وممولة من قبل منظمات أممية أكدت قبل أيام في تقرير لها أن خطر فقدان الأمن الغذائي في جانب المياه يهدد العراق بحلول عام (٢٠١٧) بسبب تناقص نسب المياه الداخلة له يوماً بعد آخر ، بالإضافة الى أن الدراسات تشير إلى أن السنوات المقبلة سيكون تساقط الأمطار فيها قليلاً بدرجة ٤٤٪ عن الأعوام السابقة ، كذلك أعلن احد خبراء المياه الدوليين أن دجلة والفرات سيصبحان جدولين لا حياة فيهما.

وفعلاً فإنني رأيت نهر الفرات في منطقة مدينة الحلة وما بعدها من مدن الفرات الأوسط ، هذا النهر الذي يغذي مناطق زراعية شاسعة لكل من مدن الكوفة وأبو صخير (قضاء المناذرة) ومدينة الشامية المشهورة بزراعة الرز العنبر ، وكذلك مدينتي غماس والشنافية ، ومن ثم المدن في جنوب محافظة الديوانية حتى مصبه في شط العرب (جنوب العراق) حيث اصبح هذا النهر الكبير عبارة عن ساقية لا يتعدى عرضها عن أربعة أمتار وعمقها بسنتمترات معدودة تعيش فيها الديدان والطحالب بعد أن كان نهراً كبيراً ومياهه الهادره تسير فيه السفن الشراعية ، حيث كان يستعمل في مجال المواصلات لنقل الحبوب والتمور وغيرها من المنتجات الزراعية ، أما الأنهر التي تتفرع من هذا النهر والتي كانت تغذي مناطق شاسعة في بحر النجف ومدينة الحيرة الأزلية، أمست هذه الفروع (أثر بعد عين).

ولمعالجة مشكلة شحة المياه أكدت وزارة الموارد المائية ضرورة تحويل الاتفاقيات المائية الشفوية مع إيران وتركيا الى اتفاقات رسمية لتقاسم مياه حوضي دجلة والفرات وبالشكل الذي يؤمن المياه للعراق وعدم إحداث ضرر لأي من الدول المتشاطئة الأخرى ، ومن جهة ثانية أوضح مستشار الوزارة أن قلة الإيرادات المائية القادمة من دول الجوار إلى العراق وتدني نوعيتها بشكل كبير أثرا على كل القطاعات الحيوية في العراق.

يذكر في هذا السياق أن سياسة النظام السابق المتمثلة بعدم دخول العراق مع دول الجوار في اتفاقيات مائية دفعت هذه الدول الى استخدام أساليب ضغط على الحكومة العراقية من أجل تحقيق مصالح هذه الدول في العراق.

إن شحة المياه وتناقصها في المجال الزراعي أدّيا الى وجود هجرة واضحة من الريف الى المدنية بسبب جفاف الكثير من الجداول التي تغذي الأراضي الزراعية ومجمعات الماء الصالح للشرب في كل المناطق وبالأخص مناطق الفرات الأوسط في محافظة بابل والتي تشتهر بإنتاج الذرة الصفراء والبطاطا والحنطة والشعير والزيتون علاوة على بساتين النخيل.

وفي سياق معالجة مشكلة المياه التي يعانيها العراق منذ زمن بعيد نعتقد أن على الحكومة العراقية ان تستغل علاقتنا الجيدة مع الجارة تركيا حيث سبق أن زار رئيس وزرائها السيد رجب طيب أردوغان والمباحثات الإيجابية التي تمت في شهر آذار الماضي ووعوده بدعم العراق في تنمية وتطوير العلاقات بين الحكومتين الطلب منها لزيادة كمية المياه الواردة الى العراق وخاصة في هذا الشهر (نيسان) حيث تزداد كميات المياه الطبيعية بفعل ذوبان الثلوج في جبالها.

ومن جهة أخرى مطالبة الحكومة السورية بصرف النظر عن مشروع تحويل نهر دجلة للدخول في أراضيها المزمع تنفيذه بدعم وتحويل إحدى دول الخليج العربي.

وأما بالنسبة إلى الجارة إيران الطلب إليها إطلاق المياه في مجرى نهر الوند الذي يغذي مدينة خانقين ، والطلب منها التوقف من إطلاق مياه البزل المالحة نحو الأراضي العراقية، مما دعا وزارة الموارد المائية لإنشاء سد ترابي لصد هذه المياه الضارة.